



عندما تُوفي الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - كانت صاعقة على الأمة الإسلامية بكل فئاتها: علماؤها الذين كانوا أصحابه يتدرسون ويتناقشون في مسائل الفقه وقضايا الأمة، وطلبة العلم الذين كانوا ينهلون من علمه ويرتشفون منه دعوة التوحيد، والدعاة الذين كانوا يسترشدون بتوجيهاته، والأغنياء الذين يستضيئون بفتواه، والفقراء الذين كانوا يعيشون على كفالتة.

صُعق الجميع، ولا غرابة في أن يُصعق محبُوه ومربيوه، ولكن!

العجب كل العجب من كان يَشَهِر سيف الحقد والإنكار ضد الشيخ في حياته، حتى إذا قضى نحبه تحولت سيوفهم عنه إطراً، وأنقلبت قلوبهم رحيمَة شفِيقَة، فأخذوا في ذكر مناقبه وأصبحوا يبرّون له بعض ما كانوا يلوكونه به من اختلافات لهم معه، حتى إن مجلة الدعوة الإسلامية الصادرة في السعودية خصصت ملفاً لرثاء الشيخ استمر قرابة العام بعد وفاته يستقبل الأشعار والقصص والمرثيات، ثم إنني كتبتُ مقالةً وأرسلتها إلى المجلة مفادها: إننا نحبَّ الشيخ ونجلَّ علمه وفضله، ولكن أين هذه القصائد والمناقب، بل أين كانت هذه الإبداعات والأديبَات حين كان الشيخ في حياته يَقوِي بها ويشعر أن المسلمين التَّقَوْا من حوله، يَقوِي من عضده، ويدعمون موافقه ويحمسونه ليشعر أن حوله مَن يُؤيَّدُه في موافقه، فثبتت ويتقدم. فما كان من المجلة إلا أن نشرت المقال، وأغلقت ملف الرثاء.

فَلَنَلْتَفِتْ إلى قادة الأمة الأحياء؛ تُشعرهم أننا معهم، نشحد عزائمهم، ونشدّ عضدهم، ونناقشهم بأعمالهم، ولا يقلّ أحد من شأن الدعم المعنوي وأثره؛ فقد التقيت الأخ الفائد الهمام الشيخ زهران يوماً، فوجده قد ضاق صدره مما يقال عنه في صفحات التواصل الاجتماعي، وتتأثَّر تأثراً استغربته منه، فقلت: والله يا شيخ إنني أعرف الكثير من الأصدقاء يحبونكم ولم يروكم، وأخذت أروي له بعض القصص التي جرت معي في هذا السياق، ثم فارقته سنة أو يزيد، فسمعت بعد استشهاده - تقبَّلَ الله - أنه كان متأثراً بما يثيره أبناء جلدتنا كثيراً حتى اصطفاه الله، نحسبه عند الله شهيداً ولا نزكيه على الله. وصدق الله: (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)، فضيق الصدر بما يقوله الناس جبلاً بشريعة لا انفكاك عنها حتى للأنبياء.

يا بني قومي: التَّقَوْا حول قادة الأمة؛ فإن الأحياء يحتاجون وقوفكم أكثر من الأموات، رحم الله الجميع.

نور سوريا

المصادر: